

القواعد الأربعة

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن محمد بن صالح آل عيسى
حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

-١٤٣٧\١٤٣٦ هـ-



ضمن دروس معهد الميراث النبوي
-تفريغ فريق صيانة السلفي-



الدرس الثاني من شرح القواعد الأربع

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

ألا وإنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الْأُمُورِ
مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد :

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - : " اعْلَمْ
رُشْدَكَ اللَّهُ لِبِطَاعَتِهِ : أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

﴿٥٦﴾ (١)"

(١) [سورة الذاريات 56]

2

شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - يقول : " **اعْلَمْ** **رُشْدَكَ اللهُ لِبَطَاعَتِهِ** " ، هذا أيضًا دعاء بأن يرشدك الله - عزَّ وجل - وأن يوفقك لطاعته ، فإذا رُشدك الله وهداك إلى طاعته ووفقك لسلوك طاعته

وطاعته هنا المراد بها : الدين الذي أرسل الله - عز وجل - به نبينا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - .

فيقول : " **اعْلَمْ** " ؛ أي علمًا يقينًا جزمًا لا شك فيه لا بد أن تتيقن هذا الأمر.

"**اعْلَمْ رُشْدَكَ اللهُ لِبَطَاعَتِهِ** : **أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ** : **أَنْ تَعْبُدَ اللهُ، وَحَدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .**

" **الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ** " ؛ ملة أبينا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، التي كان عليها إبراهيم ، وبعث بها ودعا قومه إليها ، هي أن تعبد الله وحده فلا تعبد معه شيئًا آخر ، لا قمر ولا شمس ولا حجر ولا ملك ولا نبيا مرسلًا ولا وليًا صالحًا ولا أي شيء من المعبودات الباطلة من دون الله - عز وجل - .

"**أَنْ تَعْبُدَ اللهُ وَحَدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**" **مخلصًا** ؛ الإخلاص : أن تُفرده - سبحانه وتعالى - بالعبادة فلا تصرف العبادة لغيره ، مخلصًا له الدين : أي العبادة وما تتقرب به إليه مما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - .

"كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾" ؛ أي إلا ليطيعون ويوحّدون ، فالله - عز وجل - بيّن أن الحكمة من خلق الجن و الإنس أن يعبدوه - سبحانه وتعالى - ، ويعبدونه هنا بمعنى يُوحّدونه ، كما جاء عن ابن عباس و عن غيره من السلف .

لذلك إذا صرف العبد العبادة لغير الله - عز وجل - فقد خالف الحكمة التي من أجلها خلق الله الجن والإنس .

فالحنيفية كما قال أهل العلم : " إنما سُمّيت ملة إبراهيم الحنيفية لأنه مال من الشرك إلى التوحيد " .

أيضًا الحنيف في اللغة : هو الأصل المستقيم ، ولذلك قال الله - عز وجل - : ﴿ وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

يعني أن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لم يكن على ما كان عليه أبوه وقومه من الشرك ، بل رفض ذلك وأبى وبين بطلان ما عليه قومه من عبادة غير الله - عز وجل - ، وأن تلك الأصنام لا تنفع ولا تضر ، بل لا تنفع نفسها فضلًا أن تنفع غيرها ، بل لا تنطق ولا تتكلم فضلًا أن تسمع وأن تجيب ، فإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - كان أمة قانتًا ، وكان حنيفًا لله ولم يكن من المشركين ، كما وصفه الله - عز وجل - في آيات متعددة ، وصف إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - إمام الحنفاء ، ولذلك قال

(٢) آل عمران [67]

المصنف - رحمه الله - هاهنا : " **الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ** " التي أمرنا باتباعها ؛ ﴿ **مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (١) .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - أتى بهذا التوحيد وأتى بهذه الملة ، يقول صلى الله عليه وسلم : (**بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**) وكان فيما يُتلى في كتاب الله : (**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَمْ أُبْعَثْ بِالنَّصْرَانِيَّةِ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**) أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - .

وهذه الحنيفية التوحيد الخالص لله - عز وجل - هو الذي اتفقت عليه جميع الرسالات ، وأتى به جميع الأنبياء والرسل ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ (٢) ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (**نحن الأنبياء أخوة لعلات أبونا واحد وأمهاتنا شتى**) ، والمعنى أن الأنبياء والرسل جميعًا اتفقوا في التوحيد ، وأما ما يتعلق بالأحكام والشرائع فلكل نبي شريعته كما قال الله - عز وجل - : ﴿ **لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ (٣) أي سُنَّةً وسبيل .

أما السُنَّة : فهي السُنن والأحكام .

وأما السبيل : فهو التوحيد .

ولذلك هذا التوحيد هو الإسلام بمعناه العام ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ (٤) ، فكل الأنبياء أتوا بهذا التوحيد ، ولذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - بيّن أن الحنيفية ملة إبراهيم تكمن

(٣) [الحج:78] .

(٤) [النحل:36] .

(٥) [المائدة:48] .

(٦) [آل عمران:19] .

وتحصل وتتحقق بهذا الأمر ، أن تعبد الله وحده ؛ لأن بعض الناس قد يعبدون الله ويعبدون الولي الفلاني ، بعض الناس يعبدون الله ويطوفون حول القبر الفلاني ، بعض الناس يعبدون الله ويذبحون لغير الله - عز وجل - ، بعض الناس يدعون الله ويدعون غيره والله أغنى الشركاء عن الشرك (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَشْرِكٍ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ) كما قال - سبحانه وتعالى - في الحديث القدسي .

ولذلك هذه المسألة قدّمها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ؛ لأنها أصل عظيم لا بد أن يعرفه كل مسلم ، وأن يُحقّقه في عبادته لله - عز وجل - ، فالحنيفية بُعث بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وقلنا كما سبق أنه جاء في آية منسوخة والعلماء قالوا النسخ في القرآن على ثلاث مراتب أو على ثلاث أنواع :

- النوع الأول : نَسَخُ القراءة والحكم ؛ بمعنى لا تُقرأ في القرآن ولا يُعمل بها ، وهذا كما قالت عائشة : - رضى الله عنها - كان فيما أنزل في القرآن (عشر رَضَعَاتٍ يُحْرَمُ مِنْ) ؛ فنُسخت هذه الآية تلاوةً ونُسخت أيضًا حكمًا ؛ لأنه صار الحكم بخمس رضعات يُحرّم من الطفل في الحولين إذا رضع خمس رضعات من امرأة واحدة فإنه يحرّم من الرضاع ما يحرّم من النسب ، ويكون ابنًا لها بالرضاع وكذا البنت ، هذا النوع الأول .

- والنوع الثاني : أن يُنسخ حكم الآية وتُقرأ في القرآن ؛ يعنى من ناحية القراءة موجودة الآية في القرآن وأما حكمها فإنه منسوخ ؛ وذلك على سبيل المثال ما جاء في أن المسلم في القتال أن الواحد من المسلمين يُقابل عشرة كما في سورة الأنفال حين ذكر الله - عز وجل - في قوله

﴿ إِن يَكُن مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِن يَكُن مِّنْكُمْ مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٧) ثم قال ناسخًا للآية السابقة : ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِن يَكُن مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٨)

فكان الحكم أولاً الواحد يقابل عشرة من الكفار ، ثم نُسخ بأن الواحد يقابل اثنين ، فهذه الآية تتلى ولكن الآية الأولى حكمها منسوخ ، فهذا النوع الثاني أن يُنسخ الحكم وتبقى التلاوة .

- **والنوع الثالث :** أن تُنسخ التلاوة ويبقى الحكم ؛ من ذلك هذا الحديث : (**إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة**) ، فكان هذا مما يُقرأ ، وكان مما يُقرأ أيضًا ماجاء عن عمر -رضي الله عنه - حين قال كان فيما يتلى في كتاب الله : ﴿ **وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا فَرَجُمُوهُمَا أَبْتَةً نَّكَالًا مِّنَ اللَّهِ** ﴾ فهذه الآية يُعمل بها ولكن لا تُتلى في كتاب الله .

فهذه ثلاث أنواع من أنواع النسخ في القرآن كما ذكرها العلماء في كتب علوم القرآن ، فكانت هذه الآية (**إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة**) ، وإن نُسخت تلاوةً إلا أن حكمها باقٍ ويُعمل به ، نعم .

[٧] [الأنفال:65]

[٨] [الأنفال:66] .

ثم قال الشيخ -رحمه الله تعالى - : " **مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** " ، الإخلاص أحد شرطي قبول العمل والطاعة وهذا لا بد أن نتذكره وأن نتدبره ، فأبي عبادة لا تُقبل إلا بشرطين :

- **الشرط الأول** : الإخلاص لله - عزَّ وجل - .

- **الشرط الثاني** : المتابعة لسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

أما الشرط الأول الإخلاص لله - عزَّ وجل - : بمعنى أن تعمل العبادة لله وحده لا شريك له ، فتحذر من الرياء ؛ أن تعمل العبادة ليراك الناس فيمدحوك كما مر معنا ، وأن تحذر من السمعة أن تعمل الطاعة فتذكرها أو أن ترفع صوتك بقراءة القرآن أو بالتسبيح ليسمعك الناس فيثنون عليك فتبطل عملك ، وأن تحذر بأن تعمل للدنيا بعمل الآخرة ، بل تعمل الطاعة لله - عزَّ وجل - وإن حصل شيء من أمور الدنيا من خيرٍ ونحوه فهذا خير على خير ، ولكن أن يكون الباعث والمحرك والسبب لعمل هذه الطاعة طلب أمور دنيوية فإن هذا ليس من باب الإخلاص لله - عزَّ وجل - .

وأيضًا مما ينافي الإخلاص أن تصرف العبادة لغير الله - عزَّ وجل - ، وهذا الشرك الأكبر ، أما الرياء والسمعة والعمل لأجل الدنيا فإن هذا يدخل في باب الشرك الأصغر ، وأما أن تعمل الطاعة لله وأن تعمل لغير الله - عزَّ وجل - وتصرف الطاعة لغير الله - عزَّ وجل - فإن هذا يدخل في باب الشرك الأكبر كما ذكر ذلك أهل العلم .

ولذلك تأملوا - برك الله فيكم - في قول المصنف " **مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** " ؛ فالدين الخالص هو الصافي من شوائب الشرك كبيرًا كان أو صغيرًا ، وتأملوا

قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٩) ؛ أن الحكمة من خلق الخلق هو من باب الابتلاء والاختبار ؛ فمن أطاع الله - عز وجل - دخل الجنة ، وأما من عصاه بالشرك أو بالكفر أو بالإلحاد وبالنفاق الأكبر - الاعتقادي دخل النار إن مات على ذلك ، وأما أهل المعاصي مع أصل الإيمان فهم تحت قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١٠)

إذا عرفت هذه الملة الحنيفية يقول لك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب :

" فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ ؛ فَأَعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَّارَةِ .

فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكَ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ ، كَالْحَدِيثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَّارَةِ ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا ، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ

عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ " ، يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى - : " فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ " ؛ أي وحده لا شريك له

- ما هي العبادة ؟

العبادة كما عرفها شيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله تعالى - : " كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " ، هذا مفهوم

(٩) [الذاريات:56]

(١٠) [النساء:48].

العبادة العام أنه كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

ولاحظوا - برك الله فيكم - أن ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال بمعنى ما جاء به الرسول مُبْلِغًا عن الله - عزَّ وجل - ؛ هذه هي العبادة بمعناها العام ؛ و لذلك لا تُسمى العبادة عبادة إلا إذا توفّر فيها الإخلاص وما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - .

طيب إن عمل عبدٌ أو عملت امرأةٌ بطاعةٍ لله لم يأتِ بها النبي ؛ هي مخلصه لله ولكن لم يأتِ بها النبي - صلى الله عليه وسلم -
- ما حكمها ؟

حكمها مأخوذٌ ويُعلم من قوله - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) ؛ أي مردود لا يُقبل ، ولذلك لا بد أن نتنبّه لهذا الأمر : أن العبادة لا تسمى عبادة إلا إن توفّر فيها شرطان : الإخلاص والمتابعة لسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وأيضًا تُطلق العبادة بمعنى التوحيد كما مرّ معنا ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي ﴾¹¹ ، فشيخ الإسلام يقول لك : " فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ " ؛ أي وحده لا شريك له في صرف جميع أنواع العبادة له - سبحانه وتعالى - ، من دعاءٍ وطوافٍ ونذرٍ وذبحٍ وخوفٍ وتوكلٍ وخشيةٍ وإنابةٍ واستعانةٍ واستغاثةٍ وكلّ أنواع العبادات التي لا تصلح ولا تصح إلا لله - عز وجل - .

[11] [الذاريات: ٥٦]

قال إذا عرفت ذلك : " فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ ،
كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ " .

الآن لو جاءنا واحد وقام وصلى الظهر أو العشاء ، كان نائماً مثلاً وقام
صلى العشاء ، أو مثلاً دخل الخلاء وقضى حاجته ولم يتوضأ وقال أريد
أن أصلي العشاء ،
- هل يقبل منه ؟

– الجواب لا ، لا يقبل منه .

- السؤال لماذا ؟

لأنَّ الطَّهَارَةَ شرطٌ للصَّلَاةِ ، فلا تصحَّ الصَّلَاةُ ولا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ
الطَّهَارَةِ ؛ فشيخ الإسلام يقول لنا : كذلك التَّوْحِيدُ في العبادة شرطٌ لها ،
فلا تُسَمَّى العبادة عبادةً إِلَّا إذا كان العبد موحداً لله - عزَّ وجلَّ - .

ولذلك ذكر الله - عزَّ وجلَّ - في المشركين والكافرين قوله : ﴿ وَقَدِمْنَا

إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ (١) ١٢

فالكافر إذا عمل عملاً صالحاً خيراً في الدُّنْيَا فإنه لا يُقبل منه ، بل جاء في
السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ما يدلُّ على أنَّ الله يجازيه على عمله في الدُّنْيَا ، بأن يُسَخَّرَ
له بعض النِّعَمِ مكافأةً له على ذلك العمل الخَيْرِ ، ولكن يوم القيامة لا
يُقبل منه شيئاً ، فيأتي ولم يعمل بشيء .

(١٢) [الفرقان: ٢٣] .

– لماذا يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب هذا الكلام ؟

- لأنّ بعض النّاس يّقعون في الشّرك ويقولون نحن مسلمون ، يذبّون لغير الله ويقولون نحن مسلمون ، ويعتقدون في السيّد الفلاني أنّه ينفع ويضر ويقولون نحن مسلمون ، ويعتقدون أنّ القبر الفلاني يُطاف حوله ويُذبح له ويتقرّب له ويُسأل من دون الله ويقولون نحن مسلمون ، فيقول لهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب : هذه الأمور شرك ، وعبادتكم لا تقبل لأنّ " الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ " .

قال : " فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكَ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ ، كَالْحَدِيثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ " ، يعني إذا كان العبد يفعل الطّاعة لله فأدخل عليها الشّرك ، عمل شركاً ، أفسد تلك العبادة ، كما أنّ الإنسان لو تطهّر ثمّ خرجت منه ريح أو تبوّل أو نحو ذلك أو نام فإنّها تُفسد الطّهاره ؛ لأنّ الحدث يفسد الطّهاره والشّرك يفسد العبادة .

وهذا من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب – رحمه الله تعالى – أمرٌ دقيق ومثالٌ جميلٌ جدّاً واضح ظاهر ، يفهمه العامة بل حتّى البليد يفهمه لوضوحه ، كما أنّك لا تصحّ منك الصّلاة لعدم الطّهاره فلا تصحّ منك العبادة لعدم التّوحيد .

ولكن كلام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهّاب هذا محمولٌ عند أهل العلم على من كان يعلم أو بيّن له الحقّ من الباطل ، أمّا من كان يجهل

الحكم ولم يسأل العلماء وكان جاهلاً للحكم وكان جاهلاً للحكم ويظن نفسه أنه على شرع الله فهذا تدخل مسألة العذر بالجهل .

فليس مراد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب ما يأتي به الحدّاديّة من تكفير المسلمين مطلقاً ، فإنّ المسلم إن دخل الإسلام بيقين فلا يخرج منه أيضاً إلا بيقين .

والعذر بالجهل كما مرّ معنا في درس كشف الشبهات يوم الجمعة الماضية ، العذر بالجهل مُقرّر عند أهل العلم لأدلّته ، ولكن أيضاً لا بد من بيان أمر حتى لا يغترّ العبد
- ما مراد العلماء بالعذر بالجهل ؟

— مرادهم بالعذر بالجهل في حالة الإنسان الذي يجهل الحكم ، ولم يُمكنه أن يسأل العلماء ، ولم يقف على بطلان ما هو عليه ، ولم يسمع أنّ ما هو عليه من الشرك .

أمّا إن سمع أنّ ما هو عليه شرك وبلغه الدليل وبلغته النصوص ولم يسأل ولم يتفقه فإنّ هذا كما بين أهل العلم يؤخذ ويحاسب .

إِذَا الْعِبَادَةُ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشَّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ " ؛ هذا يؤكّد لكم ما سبق معنا ، من أنّ مراد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب

- رحمه الله تعالى - فيما سبق من أن العبادة تَبْطُل بالشُّرك وأن صاحبها هاهنا خالد مُخلد في النَّار ، أن مراده فيمن لا يُعذر بجهله ، يعني أمكنه السُّؤال فلم يسأل ولم يتعلم ، وبلغه أن ما هو عليه شرك وأصرَّ على ما هو عليه .

وأما إذا كان معذورًا بجهله فإنَّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب في رسائله وكتبه يُقرِّر مسألة العذر بالجهل ، كما بيّن ذلك الإمام العثيمين - رحمه الله تعالى - في شرحه لكشف الشُّبهات فإنَّه طَوَّل الشُّرح هناك وبيّن ببيان واضح جليّ - جزاه الله خيرا - أن مسألة العذر بالجهل مسألة مقرّرة ، وبيّن ما سبق من أنه إذا أمكنه السُّؤال وبلغه الأدلّة ولم يسأل أنه يؤاخذ .

يقول : " فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشُّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا ، وَأَخْبَطَ الْعَمَلَ ، وَصَارَ صَاحِبُهُ ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ " ؛ يعني من الأمور الهامة والخطيرة أن العبد يتعلم التوحيد ويتعلم ما يُخالفه ويُضاده ، أما التوحيد يتعلمه ليعمل به ، وأما ما يُخالفه من الشركيات يتعلمها بمعنى يتعلم حكمها ليحذرها ويحذّر الناس منها ولئلا يقع فيها مستقبلاً .

قال : " عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ " ؛ ولذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - لما بعث معاذًا إلى اليمن .

- ماذا قال له ؟

(إنك تأتي قومًا هم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه ، شهادة أن لا

إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات (الحديث .

فالتوحيد أولاً ، والتوحيد هو المهم ، والتوحيد هو دعوة الأنبياء والرسل إلى قومهم ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - دعا أمته منذ بعثته إلى موته - عليه الصلاة والسلام - دعاهم إلى التوحيد ، وبهذا نعرف ضلال ما عليه بعض الجماعات التي تعتبر التوحيد مُفَرِّقًا ومُسَبِّبًا للفتن بين الناس ، مثل جماعة التبليغ والأحباب ، التي تعتبر التوحيد أمرًا يُفَرِّقُ الناس ، وأن التوحيد أمر ليس بالمهم ، وأن المهم أن الناس يفعلوا العبادة ، طيب شيخ الإسلام يقول : " **الْعِبَادَةُ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ** " ؛ لأن التوحيد شرطها ، وهؤلاء يعتبرون التوحيد مُفَرِّقًا للناس ، نعوذ بالله من الضلال ، وأيضًا جماعة الأخوان الذين يسعون إلى الوصول للحكم والسلطة عن طريق الانقلابات ، عن طريق الثورات ، عن طريق تهيج الناس على ولايتها مما يُعرف يعني "**الشعب يريد تغيير النظام**" ، أو بما يعرف بالإضرابات والمظاهرات وبهذه الاعتصامات والثورات فكلها مخالفة لشرع الله - عزَّ وجل - .

ومن أحسن الكتب التي قرَّرت هذا الأمر أعني قرَّرت أن الأنبياء في دعوتهم إلى الله دعوا إلى التوحيد ونبت الشرك ، ولم تكن دعوتهم خالية من التوحيد ، ولم تكن دعوتهم مبنية على السياسة والسلطة والحكم والوصول إليها هو شيخنا الإمام الهمام ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله تعالى - في كتابه الفذ "**منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله - عز وجل -**"

، فيه الحكمة والعقل ، وهذا الكتاب كتاب جميل ، أنا أوصي نفسي وأوصي طلاب العلم بل حتى عموم المسلمين أن يقرؤوه .

وقد اختصره أخونا الفاضل الشيخ أبو عبد الأعلى خالد عثمان المصري - جزاه الله خيراً - في رسالةٍ صغيرة بعد أن استأذن الشيخ ، فهناك كتاب مُطوّل وهناك كتاب مختصر

فعلينا بقراءة هذا الكتاب لنعلم أن بعضنا مُلبّساً عليه في عدم الاهتمام بالتوحيد ، وأن تلك الجماعات على غير هدى من الله - عزّ وجل - .

لذلك يقول شيخ الإسلام : " عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ ؛ وَهِيَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ " ؛ يعني إذا وقعت في حبال الشبكة وهي شبكة الصياد ؛ لأن الشيطان وأعدائه من الإنس والجن حريصون كل الحرص على إضلال الإنسان ، وابن القيم الجوزية ذكر سبعة أبواب يأتي بها الشيطان ليضل الإنسان ؛ أول باب يأتيه من باب الشرك ، ثم يأتيه من باب الشبهات والبدع والضلالات وهكذا .

لذلك الشيطان يا إخواني - برك الله فيكم - حريص أن يوقعك في الشرك ، ولذلك هنا مسألة مهمة لا بد من التنبه لها

- ما هي هذه المسألة ؟

نحن جميعنا بحمد الله تعالى مسلمون نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، نقيم التوحيد وننبذ الشرك ، ولكن لا تتصور يا عبد الله أنك بهذا تكون فلتت من الشيطان ، بمعنى أن الشيطان سيأتيك من أبواب آخر يحاول أن يوقعك في الشرك ، ولذلك ها هي شبكة الشيطان ؛ الشرك.

طيب

- ما الموقف منه ؟

– الموقف أن نكون دائماً حريصين على التوحيد ، نحققه ونتعلمه ونشره ، وأن نكون دائماً أيضاً حذرين من الشرك ، نَحْذِرُ مِنْهُ وَنَحْذِرُ أَنْوَاعَهُ وَنُحْذِرُ مِنْهُ ، وكتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - كتاب التوحيد من أفضل الكتب المؤلفة في هذا الباب .

وكتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - كتاب التوحيد من أفضل الكتب في بيان أنواع الشرك صورةً صورةً وبدليلها وبمسائلها ، فهو كتاب جامع نسأل الله - عزَّ وجل - أن يجعله في ميزان أعماله - جزاه الله عن هذه الأمة خيراً - ، وجزى الله - عز وجل - شيوخ السنة السلفيين كلهم خيراً عن هذه الأمة في دعوتهم للسنة ومحاربتهم للبدع ، في دعوتهم للتوحيد ومحاربتهم للشرك .

قال : " عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ ؛ وَهِيَ الشَّرْكُ بِاللَّهِ " ، لذلك تأملوا - برك الله فيكم - في وصفه للشرك بالشبكة ؛ فإن الصياد يضع شبكته للصيد في مكان ، فإذا تعدّاه وسلم منه في المكان هذا يأخذ الشبكة ويضعها في مكان آخر .

ولذلك إخواني - برك الله فيكم - من الخطأ الذي نسمعه من بعض الناس اليوم أنه يقول كفاية توحيد ، خلاص نحن مسلمون مانحتاج للتوحيد ، هذا خطأ !

- لابد أن يكون التوحيد معك إلى الممات ، إلى الممات .

ولذلك من الصور التي يذكرها العلماء في حرص الشيطان على إضلال الإنسان ، ما جاء عن عبد القادر الجيلاني أنه كان في بيته نائمًا مستلقٍ على وسادته ، يقول : " وأنا لم أنم ، فإذا سقف البيت ينكشف ، وإذا بسحابة عظيمة تأتي وتدخل في غرفتي ، وتقول له هذه السحابة : يا عبد القادر إني أنا ربك وإنك كذا وكذا ، فقال عبد القادر خسئت عدو الله ، فذهبت السحابة وعاد الجدار كما كان ، السقف كما كان " .

فقال الشيطان خاطبه : كيف عرفت أني عدو الله ؟

فقال : علمت أني لست أفضل من رسول الله ، ولست أفضل من أصحاب رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - ، فلما أخص أنا بهذا الأمر ؟

فقال له الشيطان : لقد أضللت كذا وكذا من العباد بهذه الطريقة .

فانظروا كيف الشيطان يحاول أن يضل الإنسان بل حتى أن يضل يحاول أن يضل العلماء ، ولكن المعصوم من عصمه الله - عَزَّ وَجَلَّ - وحفظه

فإذا كان هذا حال العلماء والشيطان يحاول أن يضلهم ، ولكن من كان ثابتًا على الحق ، متمسكًا بالحق ، فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - يحفظه بإذنه - سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- فما بالنا بمن دونهم .

ولذلك علينا أن نحرس وأن نحذر ، أن نحرس على أن تعلم التوحيد ، وأن نحذر من الشرك وصوره ووسائله .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - :

عَرَفْتُ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ
؛ وَهِيَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ - أَي قَالَ فِي الشَّرْكَ - : ﴿إِنَّ
اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾¹³

يعني أنت لا تأمن على نفسك يا عبد الله أن تقع في حبال وفي شبكة
الشرك التي يتصيدك بها الشيطان أو أعوانه .

– لعل البعض يسأل كيف ؟

– أقول : قد يأتيك أحد ويقول لك أنت في ضيقة تريد أولاد ، تريد مال
، تريد هذا الأمر يفرج لك ؛ تقول : والله نعم ، أنا والله في ضيق
وأريد هذا الأمر أن يتيسر ، يقول : تعال تعال ، اذهب إلى الولي
الفلاني واذبح له وقل له يا ولي كذا كذا كذا .

فأنت قد تكون في تلك الساعة في ساعة ضيق وهم فقد تقع في هذا الأمر
وأنت لا تشعر ؛ فهذا الرجل من أعوان الشيطان .

فإذا لم يكن عندك التوحيد القوي قد تقع في حباله ، فإذا وقعت في
الشرك ، وأنت تعلم أنه شرك ولكن للمصيبة أو للضيقة التي نزلت بك
وقعت في ذلك فإنك لا تأمن أن الله لا يغفر لك شيئاً ، وأن تكون خالداً
مخلداً في النار .

[13] [النساء 48]

قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ فمن مات مشركًا ، كافرًا ، ملحدًا ، منافقًا نفاقًا اعتقادياً زنديقًا فإن الله لا يغفر له ذنوبه ويخلده خالدًا مخلدًا في النار .

أسأل الله - عَزَّ و جَلَّ - أن يحفظني وإياكم من ذلك ، وأن يجعلني وإياكم من المقيمين للتوحيد ومن البعيدين كل البعد من الشرك وحبائله ووسائله وصوره وأنواعه وعن معصية الله - عَزَّ و جَلَّ - .

ثم قال بعد ذلك : " **وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدٍ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ** . "

وهذا ماسنقف عليه إن شاء الله في اللقاء القادم يوم الجمعة ، سنقف بإذن الله على هذه الأربع القواعد وما يتعلق بها من تفاصيل .

أسأل الله - عَزَّ و جَلَّ - أن يحفظني وإياكم من كل سوء ومكروه ، وأن يجعلني وإياكم من أهل السنة العالمين بها ، العاملين بها ، المستقيمين على هدي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ - وهدى أصحابه الكرام .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .